رَوائِع تراث الزَّيديّة

الرد على من أنكر الوحي بعد خاتم النبيين

للإمام المهدي لدين الله الحسين بن القاسم العَياني
عليهما السّلام (ت ٤٠٤هـ)

مُنتزع من مَجمُوع كُتبه ورسائِله

تحقيق
إبراهيم يحيى الدّرسي

منشورات مركز أهل البيت (ع) للدراسات الإسلامية

وقال -عَلَيْه السَّلام- في كتاب[1]:

الرد على من أنكر الوحي بعد خاتم النبيين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين

فليس يدعي النبوة إلا كاذب في المقال، متكمه في الضلال؛ لأن الله ختم به نبوته، وأكمل به حجته؛ فلما قبضه الله إليه، واختار له ما لديه، خلفه في أمته بأخيه وذريته، وجعلهم هداة بريته، فهم خلفاء الله في خلقه وأمناؤه على وحيه، لا يسلم أحد إلا بولايتهم، ولا يهلك إلا بعداوتهم؛ فنعوذ بالله من الهلكة في الدين، واتباع مردة الشياطين، فقد جهل الحق من جهلهم، وعادى الله من جهل فضلهم، إذ هم فرع الرسول، وسلالة البتول، وخيرة الواحد الجليل.

وليعلم من سمع قولنا، وفهم تأويلنا، أن الوحي الذي ذكرنا فيما تقدم من كلامنا أن الله ختمه بنبينا هو هبوط الملائكة وما كان يسمع موسى من المخاطبة، فذلك الذي ختمه الله وقطعه بعد محمد -صلوات الله عليه- لأنه علم أنه أفضل الآدميين، ففرق بينه وبين أهل بيته أجمعين، بأن جعلهم له تابعين، وبشريعته مقتدين، ولو علم في ذريته أفضل منه لأزاح ختم النبوة عنه، ولجعل بعده أمناء مثله، ولما أبان على فضلهم فضله.

[أقسام الوحي]

والوحي فهو على أوجه معدودة، وأسباب محدودة؛

فمنه: ما يكون على ألسن الملائكة المقربين.

ومنه: ما يخلق في أسماع المرسلين.

ومنه: ما يقذف في القلوب.

ومنه: ما يرى في المنام، وكل ذلك لا يتهيأ إلا لذي الجلال والإكرام.

وأما الوحي فإنما يسمى وحياً، لأنه شيء خفي لا يسمعه إلا الموحى إليه، ولا يطلع أحد سواه عليه، لأنه سر من أسرار الحكمة، وكرامة من أجل النعمة، ولطف من أحسن

---

[1] من النسخة (ج) وهو أيضاً لم نعثر على نسخة كاملة له لتكميل النصوص.

اللطف والرحمة.

وأما خطاب الملائكة فلا يكون بعد النبي ولا يدعيه إلا كاذب من الأنام، وكذلك ما كان يسمع موسى -عَلَيْه السَّلام- من الكلام.

وأما الوحي الذي جعله الله في المنام، فلا ينقطع أبداً عن أهل الفضل والإسلام، ولأئمة الهدى من ذلك ما لا يكون لأحد من المخلوقين، ولا يمكن أن يلقى إلى أحد من المؤمنين، لأن الأئمة شركاء النبيين وفي ذلك ما يقول أمير المؤمنين الهادي إلى الحق المبين -عليه صلوات رب العالمين-: بلغنا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال: ((الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة)).

وكان يقول -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ((لم يبق بعدي إلا المبشرات)) قيل: ما المبشرات يا رسول الله؟ قال: ((الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة)).

وكان يقول -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ((الرؤيا من الله والحلم من الشيطان)) وقد فسرنا الحلم في كتاب الرؤيا بأبين البيان.

[خصوصيات وفضائل للإمام(ع)]

ولقد شاهدنا بحمد الله من عجائب الأسرار المكتومة، ما لو ذكرناه لما صدق به إلا من امتحن الله قلبه للإيمان، وإني لأحتاج إلى الحاجة فأطلبها من مولاي تبارك وتعالى فأرى في المنام قائلاً يقول: إن حاجتك التي تطلب في موضع كذا وكذا، أو عند فلان.

وربما تحيّرت في سبب فأطلب منه البيان فما ألبث في منامي إلا يسيراً حتى أرى قائلاً يقول: قد استجيبت الدعوة ثم شرح لي ذلك القائل كلما سألت عنه حتى أرى من البيان أكثر مما طلبت.

وربما أغفل عن الشيء فأرى في المنام من يقول: لا تغفل عن هذا الشيء فإن فيه خيراً ومصلحة، وإن كان شراً قال: لا تغفل عن هذا واحترز منه فإن فيه هلاكاً وشراً.

وربما أرى في المنام سراً مكتوماً، وعلماً مكنوناً مما سيكون ويحدث، من الخير والشر

والموت والقتل فيقال: سيحدث هذا الأمر في الشهر الفلاني، أو في اليوم الفلاني في أول النهار، وسيقتل فلان أو سيموت فلان، وهذا على الدوام والحمد لله، وربما أخبرت بعداوة العدو وولاية الولي، فأحترز من العدو وأنبسط إلى الولي.

وربما امتحن الله أولياءه الفينة بعد الفينة، وربما احتاج إلى معنى من المعاني فأرى صورة ذلك المعنى في المنام، وإلى ما يأول وكيف يكون، وربما أطلب من الله حاجة أجهلها، وأطلب منه بيان ما أريد من صلاحها، فإذا هجم علي النوم رأيت رجلاً يصف لي الحاجة التي أطلب ويقول: أنا أشير عليك بطلب حاجتك هذه ولكنها تعسر عليك من وجه ذا وذا، وتسهل من وجه كذا وكذا، وحاجتك هذه التي أشير عليك بها، صفتها ونعتها وحليتها كذا وكذا، أصلها كذا وكذا؛ فأنظر ذلك جهاراً على ما وصف لي في المنام.

وربما أغفل عن النعت والصفة لوجه من وجوه الحكمة، وضرب من ضروب المحنة، وربما اشتبهت علي الإجابة بالألغاز والتعريض والإشارات حتى يتبين لي الجهل من نفسي، والعجز عن إدراك مرادي، فأدعو إلى الله عز وجل: يا رب إني لم أفهم ما أوميت إليه، و لم أقف بفهمي عليه، فبين لي أمره فإني لا أقدر على فهمه؛ فإذا نمت هجم علي تفسير تلك الألغاز بأبين ما يكون من البيان، وأوضح ما يحتاج إليه من البرهان[1].

وقد يجب على العاقل إذا ورد عليه ما لا يفهمه من اللغز والإشارة والتعريض أن لا يعجل ولا يتقحم على الشبهة، فإن التقحم بغير بينة لا يؤمن معه الزلل والخطأ؛ لأني رأيت في المنام قائلاً يقول: إن من الرؤيا ما لا يتبين عند رؤية النائم، وربما رأيت شيئاً والمراد سواه.

---

[1] - لعل الذين روجوا على الإمام الحسين بن القاسم(ع) في عصره وبعد عصره بعض الدعايات استندوا إلى ما هنا ، فقالوا : إنه ادعى النبوة وأن الوحي يأتيه أو نحو ذلك مما روجوه عليه واتهموه به ، وكلامه هنا -عَلَيْه السَّلام- واضح ، ليس فيه ما يدعو إلى الريبة ، وليس فيه إلا التحدث بما أنعم الله تعالى به عليه من الرؤيا الحسنة التي جاء فيها من الأحاديث ما سبق .

ولعمري لقد جربت ذلك فربما رأيت السيد في المنام وإنما الرؤيا لعبده، وربما رأيت الأب وإنما الرؤيا لولده، وربما رأيت الرؤيا للرجل وإنما هي لسميه أو قريبه.

وليس للعاقل أن يفسر الرؤيا لنفسه ولا يعتقد ظاهر ما يرى في منامه؛ لأن الرؤيا من حكمة الله، وغور حكمة الله لا يدرك، ومن الرؤيا بيان ولغز وإشارات، وأخبار وبشارات، ومواعظ وآداب وعلامات، وليس يفسر كثيراً من الرؤيا بالوهم إلا قليل الورع جاهل أحمق، لأنك ربما رأيت شراً وتأويله خير، وربما رأيت خيراً وتأويله شر، وليس يبين الحكيم كل أموره للعباد، وليس يريد بكتمانها التعمية والتجهيل، وإنما يريد بذلك أن لا يتكلوا على البيان، فيغفلوا عن استعمال العقول، والغفلة ربما كان فيها الهلاك، وإنما يريد أن يمتحنهم بترك البيان لينظروا ولا يغفلوا، لأن الإتكال على البيان يوجب ترك النظر والبحث والطلب، وترك النظر يوجب البلادة، والبلادة توجب الوقوع في المصاب، والوقوع في المصائب يوجب الهلاك.

وترك البيان يوجب الفاقة، والفاقة توجب الخوف، والخوف يوجب الطلب، والطلب يبعث الحيلة مع التثبت والأناة والتبيين والتمييز والكشف والبحث؛ لأن الحكيم عز وجل لا يرضى بالفساد، ولا يقصده لأحد من العباد، ولا فساد أعظم من إهمال العقل، والإقامة في البلاهة والجهل، لأن في ذلك الزهد في الحكمة، ومن زهد في الحكمة فقد رضي بالضلالة، والضلالة مذمومة، ومن اختار المذموم على المحمود فقد بلغ الغاية في الخطأ.

[بيان معنى التوكل]

وقد زعم قوم أن التوكل على الله في جميع الأسباب واجب وجهلوا حقيقة التوكل؛ **وإنما حقيقة التوكل على الله** اليقين بالله، والرضى بجميع ما قدر وقضى، ولو كان التوكل هو أن يغلق المتوكل عليه بابه، ويهلك نفسه، لكان من لم يفعل ذلك غير مؤمن بخالقه، ولو جاز له أن يفعل ذلك لجاز له أن يحج إلى بيت الله الحرام بغير زاد وأن لا يستعد لأعداء الله في الجهاد، ولا يطلب العلم الذي ينجو به من عذاب الله في يوم المعاد، وإذا

صار إلى ذلك فقد ألقى بنفسه إلى التهلكة، وخرج من الحقيقة إلى البدعة، وهذا جهل ممن ظنه وتوهمه، فضلاً عمن عمل به واعتقده، لأن الدنيا دار المحنة والحاجة، وليست بدار الآخرة والنعمة، والله يقول عز من قائل: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(١٠)﴾ [الجمعة]، وهذا كثير في القرآن بيِّنٌ غاية البيان.

* * * * * * *

كتاب التوفيق والتسديد[1]

وقال -عَلَيْه السَّلام-: في كتاب التوفيق والتسديد والآداب

[معنى التوفيق والتسديد]

فأول ما سألت عنه التوفيق والتسديد وما حقيقتهما ومعناهما؟

والجواب في ذلك: أن التوفيق والتسديد، هما العون من الله والتأييد، فمن أعانه الله على طاعته ووفقه لمرضاته، فقد وفقه لهداه، وسدده لسبيل تقواه، ولن يوفق الله أبداً من عصاه، وأعرض عن الله واتبع هواه.

ثم يقال لمن زعم أن الله وفق العصاة قبل توبتهم، وسددهم في حال معصيتهم: أخبرنا أيها الجاهل عن التوفيق والتسديد، والعون من الله والتأييد، أهما مكافأة للعبد على طاعته؟ أم عون للفاسق على معصيته، أم تأديب من الله على غفلته لما علم من إنابته ورجعته؟

فإن قال: إنهما زيادة من الله للموقنين، ومكافأة لعباده المؤمنين، فقد أصاب في قوله.

..إلى قوله: وأصل التوفيق مأخوذ من الموافقة للصواب، وموافقة الحق في جميع الأسباب، وكذلك التسديد مأخوذ من السداد، وأصله الحق والصدق والرشاد.

..إلى قوله: واعلم يا أخي زادك الله علماً ونجانا وإياك من العمى أن التوفيق هو التسديد، وهو الهدى من الله والتأييد، وهو زيادة من الله للمهتدين، وإرشاد منه لعباده الراشدين، فمن قبل عن الله الهدى، وشكره على نعمة الإبتداء، زاده هدى إلى هداه، وبصره وآتاه تقواه.

وأول توفيق الله وتسديده، وعونه للمؤمنين وتأييده، أن يبصرهم معالم دينهم، ويزيدهم في علمهم ويقينهم، ويعينهم بلطفه على جهاد أنفسهم.

وأول خذلان الله لأعدائه تركه لهم على ضلالهم، واستدراجه إياهم بإغفالهم، فإذا

---

[1] - من النسخة (ج).